# (العفَّة والتعفف في شعر أبي الطيب)

د. خالد بن فهد بن موسى البهلال

أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية، في كلية التربية في جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز في الخرج.
حصل على درجة الماجستير في كلية اللغة العربية في جامعة أم القرى في مكة المكرمة،
وعنوان الأطروحة: (شرف المعنى عند المتنبي).
حصل على درجة الدكتوراه في كلية الآداب في جامعة الملك سعود في الرياض،
وعنوان الأطروحة: (أنماط بنى التشكيل الجمالي للمدينة في الشعر العباسي).

البريد الالكتروني khfb@hotmail.com

## المستخلص

### موضوع البحث:

العفَّة والتعفف في شعر أبي الطيب.

### أهداف البحث:

تبيين أهمية فضيلة العفَّة والتعفف، مع عرض نماذج تطبيقية من شعر أبي الطيب.

### منهج البحث:

وصفي استقرائي تحليلي.

### أهم النتائج:

أنّ فضيلة العفَّة مطلب عظيم من مطالب الأخلاق الكريمة، والأعراف الموروثة، وأن تناول مثل هذه الموضوعات القيمة بالدراسة يعزز وجود القيم الكريمة التي جاء بعث نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- متممًا لها، ويساعد على شيوعها، وإحلالها المقام الذي يليق بها، وأن قيمة الشاعر تسمو في ترفعه عن الرذائل واهتمامه بالفضائل، وأن فضيلة العفَّة قد استولت على جانب كبير من أغراض الشعر عند المتنبي، ونجد ذلك في فخره ومدحه ورثائه وهجائه، والشاعر المبدع لا يعيب شعره تناول الموضوعات الأخلاقية، وأن المجتمعات الإسلامية بحاجة ماسة لتقديم هذه القيم مدعمة بجميل الشواهد، وطريف الأبيات ونادرها؛ لترسيخ كريم الأخلاق في المجتمع، والاعتزاز بتراثه وقيمه، وأن مرجع الإبداع عند الشاعر ذاتي لا موضوعي، وأن قدرات المبدع الشعرية تظهر وتتجلى لإبداعه، لا لموضوعه، فقيمة الفن لا تضعُف أو تتأخّر في شعر الأخلاق عن غيره من الشعر.

ويوصي الباحث بتناول مثل هذه الموضوعات بالدراسة مما يخدم الأدب العربي ويرتقي به، ويكشف جماله وجلاله، وتاريخ الأمة الأدبي مليء بالدرر والجواهر في مختلف عصوره، وهي بحاجة ماسة إلى من يُعمل فيها عقله وقلمه، ويقدمها لقراء العربية وغيرها، ويملأ الفراغ بعمل مستحق.

### الكلمات المفتاحية:

العفَّة، التعفف، أبو الطيب، الفضيلة، الرذيلة.

**Abstract**

**Research topic:**

Chastity and abstinence in Abu-altayib's poetry.

The objectives of the research are to show the importance of the virtue of chastity and abstinence, with the presentation of applied models from Abu-altayib's poetry.

**Research Methodology:**

Descriptive, inductive, and analytical methods were used.

**The most important results:**

The virtue of chastity is a great requirement of gracious manners and inherited customs. Addressing such valuable topics by studying enhances the existence of gracious values that the message of our Prophet Muhammad was brought to complete them, may Allah's prayers and peace be upon him. This also helps to spread them and to bring them to the place that befits them. That the poet's value appears in his transcendence of vices and his interest in virtues, and that the virtue of chastity is a large part of its purposes for Abu-altayib. We find this in his pride, praise, lament, and satire. The creative poet does not disgrace his poetry by dealing with ethical issues, and Islamic societies are in dire need of presenting these values supported by beautiful, funny, and rare evidence of verses in order to establish gracious morals in society and to be proud of its heritage and values. Also, the poet's reference to creativity should be subjective, not objective, and the poetic abilities of the creator appear and are manifested by his creativity, not by his subject. The value of art is not weakened or delayed in the poetry of morals compared to other poetry.

The researcher recommends studying such topics, which contribute to the service and advancement of Arabic literature, and reveal its beauty and majesty. The nation's literary history is full of treasures and values in its various eras. It is in dire need of someone whose mind and pen works, who presents it to the readers of Arabic and others and fills the void with deserved work.

**Keywords**:

Chastity, Abstinence, Abu-altayib, Virtue, Vice.

## المقدمة

حقيق بمن يدرس قيمة أدبيةً أخلاقيةً في شعر شاعر ما، كقيمة العفَّة -مثلًا- أن يكشف مواقع العفَّة من شعره، وصورها المباشرة وغير المباشرة، مع رصد علاقة العفَّة مع غيرها من القيم الأخلاقية الكبرى التي لها حضورٌ في بنية الشعر عامة؛ فالممادح القائمة على السلوك القويم، هي ما يوافق الفطرة السوية، وغاية ما يبحث عنه الشخص المستقيم، والمعايب هي ما يعف عنه ومنه كرام الناس وأفاضلهم، بل حتى المنغمسين في بعض صورها.

والعفَّة خلق أصيل يوجد في النفوس الكريمة، وقيمة سامية تتقاصر دونها النفوس اللئيمة، ولأهميّة دور الأخلاق في تشكيل المجتمعات ورقيها كان البحث فيها مما يعزز قيمتها، ويعلي شأنها، ويكرس وجودها، ويدعو للتخلق بها، سواء كانت تلك الأخلاق وحيًا ربانيًّا، أو عادة محمودة جاء الإسلام لتتميمها وتكميلها.

ويهدف البحث إلى تبيين أهمية فضائل الأخلاق ونفاستها، وخاصة فضيلة العفَّة، إذ لها دلالة نفسية، وقيمة موضوعية، لا يمكن تجاوزها، بل إنها سبب مهم للتعرف على جانب من شخصية الشاعر، وتحليل النص ودوافعه، وتبيين أن فضائل الأخلاق لها من الأهمية القِدح المعلَّى، والمورد العذب المحلى، ولها الأولوية في البحث على غيرها لتقديمها للقراء، وإبراز هذه الموضوعات وتصديرها على غيرها، في وقت كثر فيه الاعتناء بموضوعات ليس لها كبير أثر، ولا عظيم خطر، وهذا يؤكده أهمية الموضوع والمادة المقدمة فيه، وقيمة الشاعر المؤثرة في الساحة الأدبية، مع عرض نماذج تطبيقية من شعره، إضافة إلى أن الموضوعات التي تُعنى بتناول الجانب الأخلاقي في الشعر قليلة جدًّا، وتعظم أهمية هذا البحث أنه يؤدي غرضًا شريفًا، ويحقق هدفًا ساميًا من تأكيد معنى، أو كشف غموض، أو إبلاغ رسالة، بالإضافة إلى الباعث النفسي، المتمثل فيما تركزت عناية الشاعر به، واتجهت همته إليه، وتتمثل مشكلة البحث في استكشاف معاني العفَّة في الديوان؛ إذ يحتاج طول تأمل للديوان، وقراءة فاحصة لشعر الشاعر، وجدير بالذكر أني بحثت عن موضوعات مشابهة للاستفادة منها في بحثي، فلم أعثر على شيء يذكر، فهناك ندرة شديدة تصل إلى انعدام البحوث التطبيقية التي تناولت هذا الموضوع، في شعر شعراء العصر العباسي بالذات؛ إذ إن

هناك بحثًا تناول العفَّة في شعر الخطفى، وهو من شعراء العصر الأموي، للدكتورة ندى بنت محمد بن مريسي الحارثي، نشر في مجلة فيلولوجي: سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية، عدد (June 2020)، ومن المهم هنا أن أشير إلى أن تقسيم البحث الذي أعددته، وطريقته تختلف اختلافًا كبيرًا عن بحثها، أما الدراسات التي تناولت أصول الأخلاق فهي كثيرة، كفضيلة العقل وفضيلة الصبر، لكن التي تناولت فضيلة العفَّة، وهي من أصول الأخلاق نادرة جدًّا، وإن وجد أحدٌ قد اهتم بهذا الجانب تأصيلًا، وتطبيقًا فإني لم أقف على جهده، ولم أعثر على دراسة مستقلة في ذلك، وخاصة ما يخص موضوع العفَّة والتعفف في شعر أبي الطيب.

وقد اعتمد البحث المنهج الوصفيَّ التحليليَّ، حيث سعى لاستنطاق شعر أبي الطيب العفيف؛ من خلال استقراء شعره، وكشف ما فيه من معانٍ تشير بتصريح أو تلميح إلى قيمة العفَّة، فمحدِّدات العفَّة تكمن في المعاني، والمعاني تكون عفيفة، حينما تتضمن أفكارًا ومعارف أخلاقية، ومادة البحث ستكون من ديوان أبي الطيب المتنبي، ولإتمام الغاية، وتكميلها سأضيف شرحًا للأبيات التي تدل على المراد، وتحقق الهدف، وتحتاج إيضاحًا، وذلك أنه يوجد في أسلوب أبي الطيب عمق وميل إلى التعقيد اللفظي والمعنوي، فهو يحسن توظيف الألفاظ الغريبة، ويتمحَّل في الاشتقاق والتصريف، ويحاول بذلك إدهاش الممدوحين، والتلاعب بهم، وجذب أنظار علماء اللغة وأساطينها، والمعنيين بالشعر؛ ولذلك يحدِّث علي بن حمزة البصري أن أبا الطيب المتنبي قال له يوما: "أتظن أن هذا الشعر لهؤلاء الممدوحين، هؤلاء يكفيهم منه اليسير، وإنما أعمله لك لتستحسنه؛ أي لك ولأمثالك"(١)، وهذا ما جعلني أضيف شيئًا من شروح الأبيات التي في محور هذا البحث، والشرح الذي اعتمدته في الغالب هو شرح الواحدي، وأحيانًا قليلة نقلت من شرح أبي القاسم الأفليلي، وأقل منه شرح مشكل شعر المتنبي لابن سيده، وشرح البرقوقي كذلك.

وقد التزم البحث توضيح مفهوم العفَّة والتعفف وأهميتها، وبيان المواضع التي عبر فيها الشاعر الذي هو مجال الدراسة في هذا البحث عن معاني العفَّة في شعره، وهو أبو الطيب المتنبي، وهو في صدارة شعراء العصر العباسي.

(١) الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي، ابن جني، أبو الفتح عثمان، تحقيق د. محسن عياض، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٠م ، ص١٨٢.

وقد تضمنت خطة البحث هذه المقدمة، وتمهيدًا تناول المدلول اللغوي للعفَّة، ومدلولها الاصطلاحي، وقد حرصت على تبيين قدر هذه الفضيلة وأهميتها لدى العرب، مع بيان مفهومها، ومقولات بعض علماء اللغة عنها، ثم عرضت نماذج مختارة من شعر المتنبي في مواضع محددة، وقد قسَّمت المبحث لعدة أقسام، الأول: فخر أبي الطيب بعفته وتعففه، والثاني: الثناء على عفَّة الممدوح، الثالث: الثناء على عفَّة الممدوحة، وهن اللائي استحققن المدح من النساء، وأخيرًا تجريد المهجو من فضيلة العفَّة، ثم الخاتمة، وتشمل أهم النتائج، ثم مكتبة المصادر والمراجع.

أخيرًا: أشكر جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز ممثلة في رئيسها، وعمادة البحث العلمي، حيث تم دعم هذا المشروع العلمي بواسطة عمادة البحث العلمي بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز من خلال المقترح البحثي رقم : (٢٠٢٤/ ٠٢ / ٢٩٩٤٥).

**التمهيد**

**العفَّة لغةً واصطلاحًا:**

جاء في تعريف العفَّة في اللسان أنها "الكفُّ عما لا يحل ويجمل..."[(١)]، وذكر علي الجرجاني أن العفيف هو "من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة"[(٢)]، ويرى أبو حيان أن العفيف هو الممسك نفسه عن القاذورات[(٣)]، ووصف العفَّة والفجور أنهما خلقان لهما جمرة وهمود، وأن الحاجة إلى العدل تمس في نفي الفجور، واستعمال العفَّة، وأن العفَّة إذا قويت عصمت صاحبها[(٤)]، وقد رأى بعض العلماء أن العفَّة هي الإمساك عن المحظور،

(١) لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد الأنصاري الرويفعى الإفريقى، الطبعة الأولى، مصر، دار المعارف، ١٤١٨هـ، مادة "عفف".

(٢) كتاب التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد، الطبعة الأولى، بيروت، الكتب العلمية، ١٩٨٣م، ص ١٥١.

(٣) البصائر والذخائر، التوحيدي، أبوحيان علي بن محمد، تحقيق د. وداد القاضي، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ ، ١١٧/٥-١١٨.

(٤) الإمتاع والمؤانسة، التوحيدي، أبو حيان، صححه أحمد أمين، وأحمد الزين، الطبعة الأولى ، بيروت لبنان، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٢٤هـ،١٥٣/١.

وفيها ذبٌّ عن الدين[١]، وتعد العفَّة ركيزة مهمة في ما يتمادح به الناس ويتذامُّون، سواء في الشعر، أو في غيره، ومن قدامى النقاد الذين أصَّلوا العفَّة، في فضائل المديح قدامة بن جعفر الذي أرجع تلك الفضائل إلى أربعة أصول، تمثلت في العقل أولًا والشجاعة ثانيًا، والعدل ثالثًا، والعفَّة رابعًا، وعدَّ من مدح الرجال بها مصيبًا، ومن مدح بغيرها مخطئًا[٢]، وأشار د. بدوي طبانة إلى حصر الفضائل في هذه الأربع، ومركّباتها، كالشجاعة مع العفَّة، وأن الشاعر قد يبلغ ما أراد من المديح بالإجمال في الفضائل والصفات[٣]، فالألفاظ إذا كانت متناهية، فالمعاني غير متناهية؛ لذا فإن البحث في فضيلة العفَّة يعد بحثًا في المعاني السّويّة، والأخلاق المرعية، ومفهوم العفَّة واسع الدلالة، يندرج تحته كثير من الموضوعات، فالعفَّة تكون عن أكل مال اليتيم، وأخذ المال الحرام، والقناعة باليسير، والتعفف عن السؤال، وعن الأعراض، والعفَّة عن بذيء القول، ومرذول الألفاظ، والعفَّة عن الفحش والخنا، وقد ذكر القلقشندي أن العفَّة يدخل تحتها طهارة الإزار، والقناعة، وقلَّة الشَّره، وغير ذلك، ويرى أنه إذا ركَّب العقل مع العفَّة نتج عنهما صفات أخرى يُتمدّح به، كالرغبة عن المسألة، والنّزاهة، والاقتصار على أدنى معيشة، ونحو ذلك[٤]، وسنقتصر ما استطعنا في هذا المبحث على تناول موضوع العفَّة بمفهومها عند العرب القدامى، فقد كانت تتمثل في حفظ النظر عن المحرم، وغض البصر عن النساء، والتعفف عن الشهوات[٥]، فـ"العفَّة واسطة بين المقارفة والعصمة، والعصمة واسطة بين البشرية والملَكية"[٦]، ويرى أبو حيان أن "القوة الشهوانية إذا أفرطت كانت شرهًا، وإذا نقصت كانت جمودًا، وإذا توسطت كانت عفَّة"[٧].

(١) انظر البصائر والذخائر، ١٢١/٥.

(٢) نقد الشعر، قدامة بن جعفر، مكتبة الخانجي، تحقيق كمال مصطفى، مصر، ص٦٥-٦٦.

(٣) قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، د. بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو، الطبعة الثالثة، مصر، ص٣٣٦-٣٤٢.

(٤) كتاب صبح الأعشى، القلقشندي، أبو العباس أحمد، طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٤٠هـ-١٩٢٢م، ١٣/٢.

(٥) القيم العربية الأصيلة من شعرنا القديم، د.عبد الله مقداد، ص٨٩.

(٦) الإمتاع والمؤانسة، ١٣٠/٣.

(٧) البصائر والذخائر، ٣/ ٩٤.

وقد كانت العرب تتمدح بالعفَّة، وبها تشيد وتفاخر، وتعدها من المروءة، "وقد سئل الأحنف بن قيس عن المروءة، فقال: العفَّة والحِرْفة، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: المروءة الظاهرةُ الثياب الطّاهرة"(١)، وكان جواب عمرو بن العاص -رضي الله عنه- حين سئل عن المروءة: "العفَّة عما حرم"(٢)، وسئل مسلم اليتيم، وكان جميلاً: "ما منعك من مراسلة النساء الحسان مع جمالك ورغبتهنّ في أمثالك، فقال: عفَّة طباعية، وغيرةٌ إسلامية، وكرمٌ موروث، ومعرفةٌ بقبح العار"(٣)، ففضائل النفس تدرك بالعفَّة والتعفف، ويدرك ذلك بكبح جماح الشهوات؛ حتى لا تتشوف إلى ما لا يحل لها، ولا يجدر بها، ولا تتطلع إلى ما حجب عنها، وتنصرف إلى ما يليق بها، من الفضائل والمحامد.

ويعبر العرب عن العفَّة بألفاظ وكنايات كثيرة، فمن ذلك: عفيف، وعفيف الإزار، وطاهر الثياب، ونقي العرض، وعفُّ الأديم، ونزه النفس، وغضيض الطرف، وعزوف عن الفحشاء، ومصون العرض، وللمرأة عفيفةٌ، وحصانٌ، وبيضة الخدر، وقاصرة الطَّرف، ويعاب ويعيَّر من كان بخلاف ذلك بألفاظ نافرة، وكلمات قاسية، منها: فاجرٌ، وداعرٌ، وعاهرٌ، ومريبٌ، ودنس الثياب ودرنها، وقد قسَّم قدامةُ بن جعفر العفَّة إلى "القناعة، وقلة الشره، وطهارة الإزار، وغير ذلك"(٤).

وقد عرَف العرب قبل مجيء الإسلام كثيرًا من جميل الخصال، ومكارم الأخلاق، فجاء الإسلامُ وقوَّمها، ووجَّهها الوجهةَ الصحيحة، كالجود، والشجاعة، والعفَّة، والتواضع، وقد كانت العفَّة من صفات الفروسية، التي تغنَّى بها الشعراء فخرًا واعتزازًا، وهذا يدلُّ على أن العفَّة من مقومات الشهامة، والعزة، والفخار في زمانهم، فقد كانوا يترفَّعون عن خيانة الجار، ويفخرون بصيانة الأعراض، وحفظها؛ لذا يبقى للعفَّة تاريخُها عند العرب والمسلمين،

(١) عيون الأخبار، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الطبعة الأولى، مؤسسة مصر العامة للتأليف والطباعة والترجمة والنشر، ١٤٠٥هـ، ٢٩٦/١.

(٢) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر، ١٤٢٥هـ، ٦٢٧/١.

(٣) البصائر والذخائر، ٧/ ١٣٥.

(٤) نقد الشعر، ص٦٧.

فهم أحق بها، وأهلها.

وللعفَّة جانب معنوي، وهو الجانب الخلقي الذي يتعلق بأهواء النفوس، وميولها العاطفية إلى محبوب لا يجد ذو الميل في نفسه عزمًا على دفعه، وحينئذ يأتي دور العفَّة؛ لتكون حاجزًا له عن السقوط في شرك المعصية، فالعفَّة الحقيقية هي البعد عما حرمه الله سبحانه وتعالى، ونهى عنه.

وقد جعل بعض الشعراء المرأة مدارًا للتعبير عن ميولهم وعواطفهم، ووسيلة للتعبير عن عفَّتهم، وأن تعفف المرء إكرامٌ لنفسه، وصيانةٌ لها، وتعظيمٌ لقيمة العفَّة، ولذا سنتناول هذه القيْمةَ القيّمة عند شاعر ملأ الدنيا، وشغل الناس، وحقيق أن يتناول هذا الموضوع لديه، فهو في مقدَّم الشعراء وصدارتهم، وصداه يتردد في الخافقين، وهو أبو الطيب المتنبي، وفي تجليتها في شعره تكريس لهذه القيمة العالية، وبيان لأهميتها، ولصاحبها الذي تخلَّق بها، وباهى بها، فقد كان أبو الطيب المتنبي ممسكًا بزمام عواطفه، ملتحفًا بالعفاف الذي فُطر عليه، مفاخرًا به ومفتخرًا، ساميًا بنفسه عن عوالم الدناءة والبهيمية، وإن اتهم من بعض مناوئيه بأنه عدو للمرأة، كاره لها، فإن ذلك كان تجنيًا، ومجانبةً للصواب، وربما من سوء فهم لمعانيه الشعرية، وفي دراسة هذا الموضوع في شعره يتكشف لنا جانب مهم في سلوكه، مما يضفي قيمة إلى ذاته، وشعره.

والبحث عن مكامن هذه المشتقات وغيرها، يكون بأساليب تعبيرية فنية تهيج الإحساس بالجمال، "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها كل أحد سواء الأعجمي والعربي، والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صياغة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"(١)، ولعلَّ في شعر أبي الطيب المتنبي، وهو في صدارة شعراء العصر العباسي ما يساعد على تجلية فنيّة شعر العفَّة عنده، وأن يكون التعبير عن صور العفَّة تعبيرًا فريدًا وأخاذًا، ولعلَّ نص الجاحظ الآنف الذكر يعطي ملمحًا واضحًا عن علاقة الشعر بالفنون الجميلة، ومن ثم عن قوّة تأثير الشعر في القيم الإنسانية، وفي مقدمتها قيمة العفَّة، وكيف

(١) الحيوان، الجاحظ، عمرو بن بحر تحقيق عبد السلام هارون، مصر، ١٣٨٥ هـ- ١٩٦٥م، ٣/١٣١- ١٣٢.

تختطُّ مسالكها التعبيرية لتصب في صورة الاستقامة على الأفعال الحسنة، والترفُّع عن قبيح الأفعال ومرذولها؟ وهو ما ينطبق على شعر أبي الطيب المتنبي مما عبّر به عن بعض صور العفَّة في القول، والفعل، والسلوك، إذ يحفل شعره بمعانٍ لافتة من السمو والرفعة، ويحوي قيمًا كريمة كثيرة، ومن أجلِّ تلك القيم قيمةُ العفَّة التي تعد من أسِّ الفضائل وأسماها، وقد ذكر أبو حيان أن الفلاسفة قالوا: "فضائل النفس أربع وفضائل الجسد أربع: للنفس الحكمة، وللجسد بإزائها التمام والكمال؛ وللنفس العدل، وللجسد الحسن والجمال؛ وللنفس الشجاعة، وللجسد القوة؛ وللنفس العفَّة، وللجسد الصحة"(١)، فالعفَّة من أخلاق العرب الرفيعة، وقيمها السامية، التي يطبع عليه الإنسان أحيانًا، ومن لم يطبع عليها فالاستعفاف سبيله إلى التّخلق بها، والسّعي لإدراكها، وذلك يحتاج معرفة بقيمتها، وجهدًا وصبرًا لنوالها، "قال ابن الْأَعرَابِي: الاستعفاف الصَّبْر على مَا حرم عَلَيْهِ، والامتناع مِنْهُ"(٢).

إن الفضيلة سواء كانت عفَّة، أو شجاعة، أو عدلًا لا تتغيَّر، وإنما تتغيَّر الحالات المعبّرة عنها أو عن غيرها، وفي شعر أبي الطيب المتنبي نجد ذلك في التعبير المباشر والصريح عن العفَّة والتعفف، وفي الثناء على الممدوح بهذه الفضيلة، وفي ذمّ من يرى أنه حرم منها، فالمدح والفخر والرثاء لا يصلح له إلا فضائل الأخلاق ومحمودها، ومنها فضيلة العفَّة، والهجاء لا يصلح له إلا المقابح والمعايب، فالمهجو أبعد ما يكون عن العفَّة، وغيرها من الفضائل.

وقد استعرضت ديوان أبي الطيب المتنبي، واجتهدت في جمع المعاني التي عبَّر فيها الشاعر عن معاني العفَّة والتّعفف، فوجدته يفاخر بها في مواضع، ويمدح من اتصف بها في مواضع أخرى، ويذم من لم يتخلق بها، ويمتدح من اتصفن بها، ويكون ذلك من خلال التعبير باللفظ الصريح، أو بما يدل عليه من الألفاظ المعبرة أو الصور الدالة على تلك الفضيلة الفاضلة.

---

(١) انظر البصائر والذخائر، ٢٤٨/٦.

(٢) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن أبي نصر الحَمِيدي تحقيق د.زبيدة محمد، مكتبة السنة – القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م، ٤١٣/١.

**المبحث الأول: افتخار أبي الطيب بعفته وتعففه:**

لقد كان أبو الطيب يرى أن العفَّة صفة عزيزة، وخلة كريمة، حقيق بكريم الطبع أن يتصف بها، ويفخر أنها من صفاته التي تمنعه من الوقوع في الرذيلة، ولذا نجده يستعلن بعفته، وحفظه لنفسه، ويفاخر في مطلع قصيدته التي امتدح بها سيف الدولة الحمداني، حين قصد خرشنة، وهي بلدة بالشام على الساحل للروم، فعاقه الثلج عن ذلك، يقول منها:

عواذلُ ذات الخالِ فيَّ حواسدُ وإن ضجيعَ الخَودِ مني لماجدُ
يردُّ يدًا عن ثوبها وهو قادرٌ ويعصي الهوى في طَيفها وهو راقدُ[١]

فاللواتي يعذلن هذه المرأة، التي زيّنَ الخالُ وجهها حواسدٌ لها، لأجل محبتها إياي، فيحسدْنها؛ لأنها ظفرت مني بضجيع ماجدٍ، فهو "إذا قدر عليها رد اليد عن ثوبها (يعني إزارها) وكذا لو حلم بها لم يطع الهوى فيما يأمره، أي لا يمد يده إلى إزارها مع القدرة، وإذا رأى خيالها في النوم امتنع منه، كامتناعه في اليقظة، يصف نزاهة نفسه، وبعد همته عن مغازلة النساء...، ولو أن رجلًا ترك المحارم عن غير قدرة لم يأثم، ولم يؤجر، فإذا تركها مع القدرة صار مأجورًا"[٢]، فهو ماجد؛ لأنه مع قدرته يمتنع عن مدِّ يده، ويتعفف عن ذلك، وهذا غاية في العفَّة، وشرف النفس، فهو نزيه النفس، بعيد الهمة، لا يعرض للنساء بسوء، فالعفَّة تمنع كل ريبة، ثم يقول:

متى يشْتفي من لاعجِ الشَّوقِ في الحشى محبٌّ لها في قُربه متباعدُ
إذا كنت تخشى العارَ في كلِّ خلوةٍ فلمْ تتصبّاك الحسانُ الخرائدُ[٣]

متى يُشفى من الشوق الشديد من يتباعد بعفافه عن محبوبته، إذا كان قريبًا منها بجسده،

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، تحقيق عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ٦٦٦/٢.
(٢) انظر المصدر نفسه، ٦٦٦/٢.
(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٦٦٧/٢.

ثم يسأل نفسه منكرًا ميل نفسه إلى الحسان، وانجذابها إليهن، خاصة إذا كان يخشى على نفسه العار في الخلوة بهن[١]، وإن كان أبو الطيب المتنبي يشيد بفضيلة العفَّة، ويفاخر بها فإنه لا يتنكَّر لطبعه، وذوقه، فهو يتعشَّق الجميلات اللائي يخلبن أفئدة الرجال، ويسلبن عقولهم، ويصفهن بما فيهن من الملاحة والجمال، لكنه لا يرخي الزمام لنفسه أن تستجيب لداعي الهوى، بل هو يتبرأ من الخنا، والفحشاء، ويختار العفافَ، ويعافُ الإسفافَ، فالعفَّة جيش لا يهزم، يقول:

وألْهجُ نفْسِي لغَيْر الخَنا بِحُبِّ ذوات اللمى والنّهود[٢]

اللهج بالشيء الولوع به، فلا يحمل نفسه على ما يسوء، ولا يشغلها إلا بكريم الفضائل، واللمى السمرة تكون في الشفتين، والنهود خروج ثدي الجارية عند البلوغ[٣]، فليس مولعًا بالفحش ولا بالفجور.

لقد كان المتنبي يتنزه عن الأدناس، ويعف عن الفحشاء، إذا زين الفحشاءَ للنفس جوعُها، وقد كانت همته أسمى من أن ينشغل بالدنايا، أو أن يوقف نفسَه على شهواتها ورغباتها، فهو ماجد ينشد المجد، ولا يرضى بشيء دون ذلك، ولولا طلب العلى لم تقطع به الفلاةَ ناقةٌ، ولا فرس، كما قال في قصيدته المدوية التي أنشدها يوم عرفة، حين خروجه من مصر هاربًا من كافور الأخشيدي:

لولا العلى لم تجبْ بي ما أجُوبُ بها وجناءُ حرفٌ ولا جرْداءُ قيْدُوْدُ[٤]

"يريد بالوجناء الحرف: الناقة الضامرة، وبالجرداء: الفرس القصيرة الشعر، والقيْدُوْد: الطويلة، يقول لولا طلب العلى لم تقطع بي الفلاةَ ناقةٌ، ولا فرس، وجعلها تجوب به؛ لأنها تسير به، وهو أيضًا يجوب بها الفلاةَ؛ لأنه يسيرها فيها"[٥]، ويوجهها، ثم يقول:

(١) انظر المصدر نفسه، ٦٦٧/٢.
(٢) المصدر نفسه، ١٤٧/١.
(٣) انظر المصدر نفسه، ١٤٧/١.
(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٩٧٧/٢.
(٥) المصدر نفسه، ٩٧٧/٢.

وكان أطيبَ من سيفي مضاجعةً أشباهُ رونقهِ الغيدُ الأماليدُ[١]

فلولا طلبه للعلى لما جاب البيدَ، وضرب في الأفاق، ولكانت الغيد الحسان، اللائي يشبه صفاء أبشارهن بياضَ السيوف أطيبَ عنده مضاجعةً منها، فهو يضاجع سيفه، ويرقد بجواره، ويترك مضاجعة الغيد؛ طلبًا للعلى، والأماليد: جمع أملود، وهو الغصن الناعم، وتُشبَّه به الجارية الشابة[٢]، ثم تمَّم المعنى بقوله:

لم يترك الدّهرُ من قلبي ولا كبدي شيئًا تُتيِّمهُ عينٌ ولا جيدُ[٣]

فالدهر بأحداثه العظام، ونوائبه الجسام استلَّ من قلبه تعشُّق ذوات العيون النجل، وصواحب الأجياد المشوقة، فقلبه لا يميل إليهن، ولا ينشغل بهن؛ فقد جدَّ في طلب العلى، وشمَّر عن ساعد الجد، وانشغل عن اللهو، وتضييع الأوقات بما لا طائل وراءه، فمعاني الأنفة، والشجاعة، والترفع عن الرذائل، والافتخار بمكارم الشيم متأصلةٌ في شعر أبي الطيب المتنبي، حتى إنه يرى أن ذلك من طبيعته الخَلْقية، وشيمه الخُلُقية، وطبيعة قومه الذين ينتمي إليهم، وقد عبر عن ذلك بوضوح، في معرض رثائه لجدته، حيث قال:

وإني لمن قومٍ كأن نفُوسنا بها أنفُ أن تسكنَ اللحمَ والعظمَا
كَذا أنَا يَا دُنيَا إذا شئتِ فَاذْهبي ويا نفسُ زِيدي في كرائهها قدما[٤]

فهو يصف نفسه مخاطبًا الدنيا بأنه لا يقيم على الذلِّ، ولا يقبل الضيم، ولا يأسف للدنايا، ولا يحزن عليها، فإن شئت فابتعدي، فليس يبالي بها، أقامت أم ذهبت[٥]، بل يطالب نفسه أن تزيد إقدامًا وتقدمًا في الأمور التي تُغيظ الدنيا، وتكرهها، من التسامي عنها، والتّأبي عليها، وعدم الخضوع لها، ثم يدعو بقوله: لا مرت بي، ولا عبرتني ساعة لا أكون فيها عزيزًا، ولا عشت مهينًا أرضى بالظلم وأقبله، ومن العزة حفظ النفس من الدنايا،

(١) المصدر نفسه، ٢/٩٧٧.
(٢) انظر المصدر نفسه، ٢/٩٧٧.
(٣) المصدر نفسه، ٢/٩٧٧.
(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ١/٣٨٤.
(٥) انظر المصدر نفسه، ١/٣٨٤.

والترفع عن الرذائل، والتعفف عن الشهوات، يقول:

فلا عَبرت بي سَاعةٌ لا تُعزني ولا صَحبتني مهجةٌ تقبلُ الظُّلَمَا[١]

ويعبر كغيره من الشعراء عن بغضه لطيفِ الحبيب؛ لأن رؤية الطيف عنوان الهجر، ودليل غيبة المحبوب وبُعده، يقول:

إنّي لأبغض طيفَ من أحببتهُ إذ كانَ يهجرُنَا زمانَ وصالِه[٢]

إذ لا أرى طيف من أحب إلا عند فراقه، ولو كنت أراه في اليقظة لما رأيته في المنام، ولما كان من حاجة لطيفه أن يزور مع وجوده وقربه[٣]، ثم يفاخر بتعففه، وأنه يقتص من الهوى بذلك، فيقول:

وقد استقدتُ من الهوى وأذقتُهُ من عِفّتي ما ذقتُ من بلبالِه[٤]

الاستقادة: طلب القصاص؛ فله ثأر يطلبه؛ يقول: إن الهوى كان يؤذيني، ويعنّيني، والحبيب غائبٌ عني، حتى إذا حضر من غيبته، وعاد إلي بعد هجره عصيت الهوى، فلم أطاوعه فيما يدعوني إليه، وتعففت عما يجرني إليه؛ كفاءً له وجزاءً، والمراد بالبلبال الحزن[٥].

ثم يقول مفتخرًا بعلو همته، وسمو غايته: لئن كان تعشُّق الغواني، والشغف بالحسان غاية كثيرين فإني مشغول بما هو أهم من ذلك وأجل، فإذا ذكرَ في شعره البيضَ فإنما يريد بها السيوفَ، وإذا ذكر حسنَها فهو يكني بذلك عن صقلها، كما أنه يذكر السمر، ويكني بهن عن سمر الرماح، أما جناها فهو ما يدرك بها من المعالي، التي يسعى لها بالعوالي، فالمعالي أحباؤه، وعشقه الذي يسعى له، فهو يسعى ليخطب المعالي بالرِّماح[٦]، وذلك في قوله:

---

(١) المصدر نفسه، ٣٨٤/١.

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٦٠٨/٢.

(٣) انظر المصدر نفسه، ٦٠٨/٢.

(٤) المصدر نفسه، ٦٠٨/٢.

(٥) انظر المصدر نفسه، ٦٠٨/٢.

(٦) انظر المصدر نفسه، ١٠٢٨/٢.

محبٌّ كنى بالبيض عن مرهفاته وبالحُسنِ في أجسامِهنّ عن الصّقلِ
وبالسّمرِ عن سمرِ القنَا غير أنني جناها أحبائي وأطرافُها رُسْلي[١]

وإن كان قلبي ينجذب للغواني، ويمتلئ بحبهن، وينشغل بهن، فحقه أن أدعو عليه بالعدم، أي عدمت فؤادًا مولعًا بثنايا الحسان، وأحداقهن الواسعة[٢]، وهذا من ترفعه عن الخضوع لعواطفه، والاستسلام لهواه، وتصبُّره عن رغبات نفسه، فهو لا يعرض عنهن فقط، وإنما يدعو على القلب الذي خلا إلا منهن بالعدم، يقول:

عدِمتُ فؤادًا لم تبتْ فيه فضلةٌ لغير الثنايا الغُرِّ والحدقِ النُّجلِ
فما حرمتْ حسناءُ بالهجرِ غبطةً ولا بلّغتها منْ شكا الهجرَ بالوصلِ[٣]

الغبطة: السرور والهناء، فالمرأة الحسناء إن واصلت، فلن ينال منها غبطة[٤]، ولا هناء، وإن هجرته فلن يدرك منها السرور الذي ينشده، لذا يقول: فاتركيني أنل عوالي الأمور التي لا تنال بالاستسلام للشهوات والخضوع لها، وإنما بالصبر والعفَّة، والترفع عن الرذائل والدنايا، وذلك شاقٌّ إلا على من سَمَت همتُه، وعَلَتْ غايته، يقول:

ذريني أنل ما لا ينالُ من العلا فصعبُ العُلا في الصّعبِ والسّهلُ في السّهلِ[٥]

فيا أيتها العاذلة دعيني من اللوم، فالغاية عندي أن أنال ما لا يدرك من العلى، وما لم ينله أحد من الناس، فليست العلى مقدورة ميسورة لكل أحد، بل هي صعبة شاقة، إلا على ذوي الهمم العالية، والعزائم القوية؛ لأن الطريق إليها ليس سهلًا أو معبَّدًا مسلوكًا، أما السهل فميسور لكل أحد، وما سهل وجوده سهل الوصول إليه[٦].

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ١٠٢٦/٢.
(٢) انظر المصدر نفسه، ١٠٢٦/٢.
(٣) المصدر نفسه، ١٠٢٦/٢.
(٤) انظر المصدر نفسه، ١٠٢٦/٢.
(٥) المصدر نفسه، ١٠٢٦/٢.
(٦) انظر ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ١٠٢٦/٢.

ومن تعففه أنه لا يقيم في مكان لا يكون مكرمًا فيه ومقدرًا، ولو كان يدرك لذة العيش فيه، فطيب الحياة في نيل الكرامة، والإجلال، وإن كان ذلك فيه مشقة على نفسه، فهو ينزه نفسه عن الخزايا ويترفع عن الدنايا، ومن ليس كذلك فلا كرامة له، وهذه الأنفة سجية نفسية له، وطبيعة خلقية عنده، يقول:

وما منزلُ اللذاتِ عندي بمنزلٍ إذا لم أبجلْ عنده وأكرمِ
سجيةُ نفسٍ ما تزالُ مليحةً من الضّيم مرميًّا بها كل مخرمِ(١)

والمُليحة: المشفقة الخائفة، إذ يقال للمشفق من أمر: ألاح منه، ويقال للطريق الوعر في الجبال مَخرم، ومراده أن من سجية نفسه التأبي على الظلم، فتحمل الفراق، وارتحال أوعر الطرق خيارها، وسجيتها لئلا تبخس ما تستحق من الإكرام والتقدير، فما يقيم على الذل إلا من لا كرامة له عند نفسه(٢).

وكان لأبي الطيب فلسفته الخاصة في النظر إلى الأشياء، والتأمل في مآلاتها، مما جعله ينتقد الذين وقعوا في العشق، وأُغرموا به، وانشغلوا عن معالي الأمور، ومهمات الحياة، وضرورياتها، وهذا التبصر حمله على أن يكون أكثر صرامة مع نفسه، فيعف عن القبائح، ويكبح جماح نفسه عن الغواية، ويلجمها عن الاشتغال برغباتها، وشهواتها، يقول:

مما أضرَّ بأهل العشق أنهم هووا وما عرفوا الدنيا وما فطِنوا
تفنى عيونهم دمعًا وأنفسُهم في إثرِ كل قبيحٍ وجهه حسنُ(٣)

فليس أضر بالعاشقين الذين عشقوا الدنيا، ومتاعها الزائل، من جهلهم بها، فتركوا قلوبهم تتعلق وتعشق وتهوى، في دنيا تخدعهم، ولا تساعدهم، وتحرمهم، وتطمعهم، ثم تعين عليهم، فلا تبقى لهم، ولا تبقي عليهم، فلا أضر لهم، ولا أشد عليهم من قلة فطنتهم بالدنيا، وانخداعهم بها، فتعبوا في الاستكثار منها، وفنيت نفوسهم من الحزن، وتلفت عيونهم من

(١) المصدر نفسه، ٩١٩/٢.
(٢) انظر المصدر نفسه، ٩١٩/٢.
(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٩٤٤/٢.

البكاء، على من يُستحسن مظهره، ويُستقبح عند الفحص والاختبار باطنه[١]، ثم يقول متسخطًا:

رأيتكم لا يصونُ العرضَ جارُكم ولا يدرُّ على مرعاكُم اللبنُ[٢]

فليس جاركم بآمن على عرضه، ولا على نفسه، بل هو عرضة للشتم، والهوان، والإذلال، وليس يطمع أن تحموه من عدو صائل، وإنما خوفه على نفسه، وعرضه منكم، حتى مراعيكم وخيمة، مشؤومة، مثلكم، فإذا رعت النعم في أرضكم لم يدر لبنها، من وخامتها، وهذا هجاء موجع؛ لأن العرب تفخر بصيانة العرض، وحماية الجار، وإكرامه، ومن فرَّط في ذلك فماذا بقي له؟ ولذا رفع صوته بأنه لا يرضى بذلك إلا الذليل، الذي لا يهتم لكرامته، أما أنا فإني لا أقيم لآخذ مالًا ثمنُه إذلالي، وكل مال يحصل لي بذل تركته، ولا أستطيب شيئًا يلطخ عرضي أخذه[٣]، وهذا من عفَّة نفسه، وكرم محتده، يقول:

ولا أقيم على مالٍ أذلُّ به ولا ألذُّ بما عِرضي به دَرِنُ[٤]

ومن التمدح بالعفَّة، والافتخار بالتعفف عن اقتراف الفحشاء، والتنزه عن الأدناس والخزايا، وذكر الأسباب التي تحجزه عن التردي في أودية الرذيلة قوله:

إنّي على شغفي بما في خُمرها لأعفُّ عما في سراويلاتِها
وترى الفتوة والمروة والأبو وةَ فيّ كلُّ مليحةٍ ضراتُها
هنّ الثلاثُ المانعاتي لذتي في خلوَتي لا الخوفُ من تبعاتِها[٥]

قال الواحدي: "وسمعت أبا الفضل العروضي يقول: سمعت أبا بكر الشعراني يقول: ... وكان المتنبي قد قال: لأعف عما في سرابيلاتها جمع سربال، وهو القميص، وكذا رواه

(١) انظر المصدر نفسه، ٢/٩٤٤.
(٢) المصدر نفسه، ٢/٩٤٥.
(٣) انظر المصدر نفسه، ٢/٩٤٥.
(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٢/٩٤٥.
(٥) المصدر نفسه، ١/٤٠٦.

الخوارزمي، يقول أنا مع حبي لوجوههن أعف عن أبدانهن"[١]، فهو يعف عن أجسادهن، وإن أحب وجوههن، ثم يقول: هن يرين هذه الأشياء، والخصال مني (الفُتُوةَ وَالمرُوءَ وَالأُبُوةَ) ضراتهن؛ لأنها تمنعه من الخلوة بهن، وإن خلا بهن، فهو لا يتلذذ بتلك الخلوة؛ لأنها ليست من مروءته، ولا فتوته، ولا أبوته، وبعد أن أثنى على ممدوحه قال:

تلك النّفوس الغالباتُ على العلى والمجدُ يغلبها على شهواتِها[٢]

نفوس لا يسبقها أحد من الناس إلى العلى، ولا يحرزه أحدٌ قبلهم؛ لأن المجد يغلبهم على ما يشتهون، ويحول بينهم، وبين شهواتهم، التي جعلت في بني آدم، فلا يمكِّنهم منها خشية العيب والشين[٣]، فيتعففون إكرامًا لنفوسهم، وصيانة لمقامهم.

وتمنى في زمن الصبا أن يكون البياض خضابًا، يخفى به سوادَ شعره، فكما أن بياض الشيب يخضب بالسواد ليخفى، فإنه يريد خضاب ذوائبه السود بالبياض، فالبياض شعار الرزانة، والأناة، والحكمة، وعنوانها، يقول:

مُنىً كنّ لي أن البياضَ خِضابُ فيخفى بتبييضِ القرونِ خضابُ
ليالِيّ عند البيضِ فَوداي فتنةٌ و فخرٌ و ذاك الفخرُ عندي عابُ[٤]

لقد تمنى ذلك في بواكير شبابه، حين كان رأسه فتنة للغواني، وشَعره حسن نضر، لم يغز الشيب رأسه بعد، ففتنة غالب النساء في سواد الشعر، الذي هو علامة الشباب، والقوة، والفتوة، لا بياضه الدال على الهرم، والشيخوخة، والعجز، وكانت الغواني يفاخرن بوصاله، وهو يعد ذلك الفخر عيب؛ لأنه يعف عنهن، ويزهد في وصلهن، فتمنيه للشيب لما في الشباب من الطيش، والجرأة، والنزق، ولما في المشيب من الأناة، والوقار[٥]، كما أنه ليس

(١) انظر المصدر نفسه، ٤٠٦/١.
(٢) المصدر نفسه، ٤٠٦/١.
(٣) انظر ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٤٠٦/١.
(٤) المصدر نفسه، ٩٦٣/٢.
(٥) انظر المصدر نفسه، ٩٦٣/٢.

ممن يطيل صحبة النساء، والمكث معهن، بل بينه وبينهن كما الصحراء الواسعة، والفلاة الشاسعة، فهو لا يطمع بلقائهن، ولا ينزل لرغباتهن، ولا يجيبهن إلى ما يردن، يقول:

وللخودِ مني ساعةٌ ثم بيننا فلاةٌ إلى غير اللقاءِ تجابُ
ومَا العِشقُ إلا غرةٌ وطماعةٌ يُعرِّضُ قلبٌ نفسَه فيصابُ[١]

فعشق النسوة انخداع، واغترار، وطمع مذموم في وصالهن، وفيه مخاطرة شديدة، فالقلب حقه أن يصان ويحفظ، فلا يعرض للأذى، ومن ذلك تعشُّق النساء، لأنه النافذة التي تتسبب بإصابة النفس بالعشق، فالقلب يشتهي وينجذب، ثم يدعو النفس لذلك فتتبعه[٢]، فالإنسان لا يقع في العشق إلا بفراغ القلب، وتعرضه لذلك، ثم يفخر أنه لا يعرض نفسه لذلك، فيقول:

وغير فؤادي للغواني رميَّةٌ وغيرُ بناني للزُّجاجِ رِكابُ[٣]

كل ما يرمى من الطرائد، والصيد، فهو رمية، ففؤاده في مأمن أن تصيبه الغواني بسهام ألحاظهن؛ لأنه لا يميل إليهن، ويرغب عنهن، فهو ليس زير نساء، يمضي وقته معهن، ولا منشغلًا بالغزل بهن، ولا يحب الخمر، ولا يعاقرها، فهو يتنزه عن شربها؛ لذا لا تمسها بنانه، ولا تحملها يده[٤]، وهذا ما يليق به، وبحاله، ثم يتمم المعنى بقوله:

تركنا لأطرافِ القَنا كُلَّ شهوةٍ فَلَيْسَ لنَا إلا بِهن لعَابُ[٥]

لقد تركنا كل شيء تشتهيه النفوس من الملاهي والملاذ، وفطمنا أنفسنا عنها، فلهوُنا على قدر هممنا، وهو ملاعبة الرماح، والطعن بها في ميادين الوغى، عند لقاء الأعداء[٦]؛

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٩٦٣/٢.
(٢) انظر المصدر نفسه، ٩٦٣/٢.
(٣) المصدر نفسه، ٩٦٣/٢.
(٤) انظر المصدر نفسه، ٩٦٣/٢.
(٥) المصدر نفسه، ٩٦٣/٢.
(٦) انظر ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٩٦٣/٢.

تعففًا منه عن اللهو، وترفعًا عن الابتذال.

وقال في صدر قصيدة امتدح بها سيف الدولة الحمداني مفتخرًا بتعففه، وتمنعه، وترفعه عما لا يحل له، ولا يليق به:

وأشنبُ معسولُ الثَّنياتِ واضحٍ  سترتُ فمي عنه فقبَّلَ مفرقي[١]

الشَّنب: برود الأسنان، وطيب الريق، وعذوبته، يقول: رب محبوب أبيض وجهه، باردة أسنانه، حلوٌ ريقه، عذبةٌ ثناياه، تعفف عنه، وصان فمه، وستره بيده؛ لئلا يقبله، فقبل رأسه؛ إجلالًا له، وإكبارًا لقدره، وميلًا إليه، فهو قد أحب وصاله، لكنه تعفف عما يحرم عليه، ولا يحل له[٢]، ثم يقول:

وأجيادِ غزلانٍ كجيدِك زرنني  فلم أتبين عاطلًا من مطوقِ[٣]

"وما كنت ممن يكلف بالغزل، وينشغل باللهو واللعب، وما قلبي بالفارغ ليتمكن منه العشق، ويدخل فيه، فيتملكه الحب، فيصرفه عن همه، ومطالبه، فكم ممن أعناقهن كالظباء حسنًا زرنني ووصلنني، واعتمدنني معجبات بي، فانصرفت عنهن، وأعرضت غير متبين لهن، ذلك أني غضضت الطرف دونهن، فلم أستطع تفريقًا بين المطوق الحالي، ولا تحققت المتبذل العاطل"[٤]، واصفًا نفسه بالنزاهة، والعفَّة، والاحتشام، وأنه لم ينظر إليهن حين زرنه، فلم يعرف ذات الحلي ممن لا حلي عليها، إذ غضَّ بصره، وأعرض عنهن، وحفظ نفسه، ثم افتخر بذلك من نفسه، فقال:

وما كل من يهوى يعفُّ إذا خلا  عفافي ويرضي الحِبَّ والخيلُ تلتقي[٥]

لا تتبين حقيقة العفَّة إلا في حال القدرة، وذلك في الخلوة، والابتعاد عن الرقباء، فكل

(١) المصدر نفسه، ٢/٧١٥.

(٢) انظر المصدر نفسه، ٢/٧١٥.

(٣) المصدر نفسه، ٢/٧١٦.

(٤) انظر شَرْح شِعْر المُتَنبي، أبو القاسم ابن الأفليلي، تحقيق د. عليان، مصطفى، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ٢/٩٦-٩٧.

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٢/٧١٦.

أحد يهوى، ويعشق، ولكن ليس كل أحد يملك زمام رغبته، ويطيع مروءته، فيصون نفسه، ويعف في خلوته مثل أبي الطيب، فالشجاعة الحقة تكون في الوقوف في وجه الأعداء في ساح الوغى، وأعظم الشجاعة هي الوقوف في وجه الشهوات والملذات، وكثير من العاشقين يعجز عن ذلك، فلا يعف، وليس شجاعًا عند الحروب، والمرأة تود من صاحبها أن يكون شجاعًا أبيًّا، فذلك قوله: ويُرضي الحِبَّ، والخيل تلتقي، وهذا مما اعتادته العرب، وتعارفت عليه(١)، ومن ذلك قول الشاعر عمرو بن كلثوم:

يقُتنَ جيادَنا وَيَقُلنَ لَستُم  بعولَتَنا إذا لَم تَمنَعونا(٢)

وفي قصيدته التي امتدح بها عضد الدولة بن بويه ابتدأها بالثناء على نفسه وتعظيمها، وافتخر ببسالته وشجاعته، وانشغاله بالحروب ومعالي الأمور، وترفعه عن الدنايا، فلا وقت لديه لسفاسفها، إذ نيران الحروب هي ما يصاليه ويواليه، أما الفواحش فليست في حسابه، ولا من اهتماماته، وذلك لعفته المتأصلة في طبيعته، يقول:

ما أجدرَ الأيامَ والليالي  بأن تقولَ ماله ومالي
لا أن يكونَ هكَذا مَقَالي  فَتىً بنيرانِ الحُروبِ صَالِ
مِنها شَرَابي وبِها اغْتِسَالي  لا تَخْطرُ الفَحْشَاء لي بِبَالِ(٣)

يقول: إنه يشرب من ماء الحروب، ويغتسل بمائها، من شدة انغماسه فيها، ومخالطته لها، والفحشاء هي الزنا، فهو لا يحدث نفسه بتلك الفاحشة المستشنعة، ولا تخطر له ببال(٤)، ثم يؤكد المعنى الذي يشغل باله، ويهتم له، فيقول:

لَوْ جَذَبَ الزّرادُ مِنْ أذْيَالي  مُخيرًا لي صَنْعتي سِربالِ

(١) انظر المصدر نفسه، ٢/٧١٦.
(٢) شرح المعلقات السبع، الزَّوْزَني، حسين بن أحمد، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ص٢٣٣.
(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٢/١١٠٩.
(٤) انظر المصدر نفسه، ٢/١١١٢.

مَا سمتُه سَرَدَ سِوى سِروالِ وكَيْفَ لا وإنّما إدْلَالي [١]

في هذه الأبيات يشير إلى تعففه، وترفعه عن معاشرة النساء، فلو أن الزراد الذي يصنع الدروع السابغة جذبني ليخيرني بين أن يصنع لي درعًا محكمة، والبدن لما اخترت أيًّا منهما، ولكن أختار ما يحصن عورتي، ويسترها، ويعينني على العفَّة، وهذه طريقة المتنبي يترفع عن معاشرة النساء كبرا وتعففا[٢]، أما درعه الحصينة فسيفه، الذي به يحمي بدنه، ويدفع عن نفسه.

وقال يمتدح الحياء، ويثني عليه، ويشيد بمن اتصف به، وأنه ليس من صفات أهل الخبث واللؤم والغدر، وإنما من صفات الكرام البواسل، من قصيدة قالها حين ودع ابن العميد أثناء مسيره إلى بلده فارس، في سنة ثلاث مائة وأربع وخمسين من الهجرة:

يحلُ القَنا يومَ الطِّعانِ بعَقوتي فأحرمُه عِرضي وأطعمُه جِلدي
تبدلُ أيّامي وَعيْشِي ومَنْزلي نجائبُ لا يُفْكِرنَ في النّحسِ والسّعدِ
وأوجُه فتيانٍ حَياءً تلثموا عليهن لا خوفًا من الحَرّ والبردِ
وليسَ حَياءُ الوجهِ في الذّئبِ شيمةً ولكنَّهُ منْ شِيمةِ الأسدِ الوَردِ[٣]

المتأمل في هذه الأبيات يلمس معاني المروءة التي يفخر أبو الطيب بها، ويعتز بذكرها، فإذا حضر الوغى، وكان الطعان والمسايفة فإنه يحفظ عرضه من أن ينال بذم، ويهون عليه أن يتلقى بجسده الطعن وقاية لعرضه، وحفظًا لسمعته من التعييب والذم، وهو لا يقر له قرار، فهو على ظهور نجائب الإبل التي ترحل به من بلد لبلد، من دون التفات أو تفكر بما قد يلاقينه من الأفراح والأتراح، ثم يشيد بغلمانه الذين تلثموا حياءً، لا خشية الحر أو البرد، ثم امتدح خلقَ الحياء وأهلَه، فالذئب الذي يعرف بالخبث، ويوصف بالمعايب والوقاحة، لا يتصف بالحياء، وليس من شيمته، ولكنه من شيم هزبر الشَّرى، ففي طبعه

(١) انظر المصدر نفسه، ١١٠٩/٢.
(٢) انظر المصدر نفسه، ١١١٢/٢.
(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ١٠٥٦/٢.

كرم وحياء، حتى إنه يذكر أن من واجهه أسد، فأحد في وجهه النظر، أعرض الأسد عنه، واستحيا أن يفترسه، فحياؤهم صفة محمودة، لا تزري بهم، كما أنه لا يزري بالأسد حياؤُه، فجمعوا بين شدة الإقدام وفرط الحياء[١]، فالحياء خلة شريفة يمتدح بها، وخلق يزين أهله، ويشرفهم، فهو يبعث على العفَّة عن المعايب، ويمنع من الإقدام على الرذائل، وما يستكره من رديء الصفات، والأفعال.

**المبحث الثاني: الثناء على عفَّة الممدوح:**

من يتأمل في شعر أبي الطيب المتنبي يجد أنه يختص ممدوحه بأنه عف الإزار، خفيف من الأوزار، يعرض عن الوقوع في الفحشاء، ولا يرضى بالعار، والعار شر من البوار، يقول مادحًا دلير بن لشكروز، حين أتى الكوفة؛ ليقاتل خارجيًّا من بني كلاب، كان قد ظهر بها، غير أن الخارجي انصرف قبل أن يصل دلير الكوفة:

عفيفٌ تروقُ الشمسَ صورةُ وجهِه  و لو نزلتْ شوقًا لحادَ إلى الظِّلِ[٢]

فيصفه بالعفَّة، وبالحسن كذلك؛ حتى إن وجهه تستحسنه الشمس، ولو أرادت النزول شوقًا وعشقًا لأعرض عنها تعففًا، ومراده أن العفَّة عن النساء والفحشاء من شيمه، بل عن كل أنثى، فلو أن الشمس نزلت من عليائها إليه لحقق معنى العفَّة[٣].

فأبو الطيب يفرق بين من يستطيب جمال النفس، وظرافة الروح، ويرى ذلك من العقل والعفَّة، ويعيب من ينجذب لحسن الصورة، ويتعشق جمال الجسد، ويرى ذلك من الفسوق المعيب، يقول:

وأغيدُ يهوى نفسَه كلُّ عاقلٍ  عفيفٍ ويهوى جسمَه كلُّ فاسقِ[٤]

فهو قد "جمع بين خفة الروح، وحسن الجسم، والفاسق يميل إليه حبا لجسمه، والعاقل

(١) انظر ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ١٠٥٦/٢.
(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ١٠٢٧/٢.
(٣) انظر المصدر نفسه، ١٠٣٢/٢.
(٤) المصدر نفسه، ٨٠٣/٢.

العفيف الذي لا يفسق يهوى روحه؛ لخفته وظرافته"[١].

لقد كان الخوف من العار من صفات الكرام، وقد كان أبو الطيب يصف ممدوحيه بذلك، ويثني على خوفهم من العار، فالعار يؤلم الكرام ويوجعهم، فهم يحذرون قالة السوء، ويبتعدون عن مواطن الشبهات، وأماكن لا يحمد من حضرها، يقول:

والعار مضاضٌ وليس بِخائِفٍ  من حتْفِه من خاف مما قِيْلا[٢]

مضّاض: محرق، فمن يأنف من الدنايا لم يحجم عن المنايا.

وقال من قصيدة يمتدح بها عليّ بن إبراهيم التنوخي، ويعدد فيها مكارم أخلاقه، وجميل صفاته، ومنها إعراضه عن الفحشاء؛ تعففًا، وصيانة لنفسه:

يرعيك سمعًا فيه استماعٌ إلى الد  داعي وفيه عن الخنا صممُ[٣]

يقول: إن عليًّا يُرعي سمعه لمن يدعوه، ويصغي لمن يستغيث، ويستنجد به، وفيه صمم عن الفحش والخنا[٤]، فصممه ليس عيبًا خلْقيًّا، ولكنه تنزه، وتعفف عن سماع الفحش، وذلك من توقيره لنفسه، وتنزيهه لسمعه.

كما امتدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي بنقاء الجيب، وهو كناية عن التعفف من اقتراف الخزايا، والوقوع في الفحشاء، يقول:

ذا السِّراجُ المنيرُ هَذا النقِيُّ الـ  ـجيبِ هذا بقيةُ الأبدالِ[٥]

فلأنه يُهتدى برأيه، في معضلات الخطوب، ومدلهمات الأمور، أو يسترشد بعلمه فيما أشكل من المسائل الدينية وصفه بأنه سراجٌ منيرٌ؛ وبأنه نقي الجيب، وهو الطاهر من كل عيب، فثوبه طاهر من كل دنس أو خيانة، والأبدال هم الأولياء العُبَّاد، سُموا بذلك لأنهم

(١) المصدر نفسه، ٨٠٣/٢.
(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٣٣٥/١.
(٣) المصدر نفسه، ٢٣٥/١.
(٤) انظر المصدر نفسه، ٢٣٥/١.
(٥) المصدر نفسه، ٢٢٧/١.

إذا مات واحد منهم أُبدل بآخر غيره[١].

وفي قصيدة أخرى يصف كثيرًا ممن يلقاهم بأنهم لا يتصفون بكريم الشيم، وأنهم كالأصنام، غير أن الأصنام تفضلهم بعفتها، يقول:

أُسيرُها بَين أصْنامٍ أشَاهدُها ولا أشَاهدُ فيها عفَّة الصَّنَمِ[٢]

أسار دابته إذا سيرها، وعنى بالأصنام قومًا يطاعون ويعظمون، وهم كالجماد والموات، لا اهتزاز فيهم للكرم، ولا أريحية للجود، ثم فضَّل الصنمَ عليهم، فقال: ليست لهم عفَّة الصنم؛ لأن الصنم وإن لم ينفع، فهو غير موصوف بالفضائح والقبائح، وهؤلاء لا يعفون عن محرم، ولا عن قبيح[٣].

وحين سأله الأمير مرافقته في مسيره اعتذر من ذلك، وامتدحه بشجاعته وبسالته، وتعجب من قوة قلبه، إذ لا يداخله الخوف من الموت، لكنه يخشى ما يعيبه ويشينه، وهو العار الذي لا يرضى الدنو منه لعفَّته، وكرم طبعه، يقول:

لِلَّهِ قلبكَ ما يَخافُ من الرَّدى ويَخافُ أنْ يَدنو إليك العَارُ
وتَحيدُ عن طبعِ الخَلائِقِ كلِه ويَحيدُ عنك الجحفلُ الجرارُ [٤]

يقال للأمر المعجب: هذا أمر إلهيٌّ، وفي ذلك إشارة تعظيم، وتهويل أنه لا يستطيع خلقه إلا الله، وإن كان كل أمر إلهي، يتعجب من قوة قلبه، الذي لا يخاف هلاكًا، ولكنه يخاف من العار، فهو لا يتوقى من المهالك، ويتوقى أن يدنو منه شيء فيه خزي أو عار، ويهرب من قبيح الأدناس، ومذموم الأخلاق، وما ذاك لضعف أو خور، فعنه يهرب الجيش

(١) انظر ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٢٢٧/١، وفي لسان العرب، مادة "بدل": "والأبدال: قوم من الصالحين بهم يُقيم اللهُ الأرض، أربعون في الشام، وثلاثون في سائر البلاد، لا يموت منهم أحد إلا قام مكانه آخر، فلذلك سُمُّوا أبدالًا...".

(٢) المصدر نفسه، ١٠١٤/٢.

(٣) انظر المصدر نفسه، ١٠١٨/٢.

(٤) انظر ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٥٩٥/٢.

الكبير الجرار[١].

ويقول من قصيدة استدعى فيها فضيلة العفَّة ليمتدح بها القاضي أبا الفضل أحمد بن عبد الله الأنطاكي، ويثني عليه، وعلى قومه بمكارم الشيم، وجميل الخصال، وفي مقدمها العفَّة، وقد كنى عن عفَّة الممدوح وقومه بقوله: عف الإزار يقول:

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم ... شيمٌ على الحَسَبِ الأغرِ دلائلُ
متشابهي ورعِ النفوسِ كبيرُهم ... وصغيرُهم عفُّ الإزار حلائلُ[٢]

أي فخرت بهم الشيم الكريمة، مع أنهم لا يفخرون بها، لتواضعهم، وبعدهم عن التكبر والخيلاء، وهذه الشيم دالةٌ على أصالة حسبهم، وزكاء معدنهم، والأغر: السيد الكريم، فشيمهم الكريمة تدل على مالهم من الحسب الزكي، مع ورع نفوس كبارهم، يشبه بعضهم بعضًا في ذلك، أما الشاب منهم، فسيد ذكي الفؤاد، عفيفُ الإزار[٣].

ويقول أبو الطيب يمدح قاضيًا فطينًا:

قاضٍ إذا التبسَ الأمرانِ عنَّ له ... رأيٌ يخلصُ بينَ الماءِ واللبنِ
غضّ الشَّبابِ بعيدٌ فجرُ ليلتِه ... مجانبُ العينِ للفحشَاءِ والوَسنِ[٤]

فإذا اختلط أمران واشتبها، واحتيج للفصل بينهما، ظهر للممدوح رأيٌ يستطيع به أن يفصل بين ما لا يستطاع فصله، كالفصل بين الماء واللبن، وهذا القاضي شاب في مقتبل عمره، يسهر في ما ينفعه، من كسب علم أو عبادة، فهو ليس من أولئك الذين يفنون لياليهم بلذائذ الحياة، فعينه معرضة عن النظر إلى ما لا يحل، فهو يمدحه بأنه عفيفٌ، غضيض الطَّرف[٥]، ومن عفت أطرافه حسنت أوصافه.

---

(١) انظر المصدر نفسه، ٢/٥٩٦-٥٩٧.
(٢) المصدر نفسه، ١/٣٩١.
(٣) انظر المصدر نفسه، ١/٣٩١.
(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ١/٣٧٦.
(٥) انظر المصدر نفسه، ١/٣٧٦.

وقال في صدر قصيدة يمتدح بها كافورًا الأخشيدي، ويذكر فراقه لسيف الدولة الحمداني، فأشاد بنفسه أولًا، ثم ذكر ما يعجبه من المكرمات والكرام، فهو يحب الفتى الكريم، الذي يُقبل الناسُ إليه، ويحلون ضيوفًا عليه، فهو نجيب الأصل، جميل الهيئة، طويل كالرمح المقوم، جمع بين كرم الخُلق، وجمال الخَلْق، قد جرب الحياة، وخبرها، يقول:

وأهوى من الفتيانِ كل سميدع نجيبٍ كصدرِ السمهري المقومِ
خطت تَحتَهُ العيسُ الفلاةَ وخالطت به الخَيلُ كبّاتِ الخَميسِ العرمرمِ[١]

فهو يجل ويألف من الفتيان من كان نجيب الأرومة، كريم الأصل جريئًا قد ضرب في الأرض، وطاف البلدان، وعبرت به ركابه الفلوات الشاسعة، فهو صلب كالرمح، قد خبر الحروب، خالطت به الخيل الجيوش الجرارة، والكبة: الصدمة والحملة، من قولهم كبه لوجهه إذا ألقاه[٢]، ثم يذكر ما يميزه عن أقرانه، وما يستحق أن يثنى عليه به، وهو عفته، فيقول:

ولا عفَّة في سَيفهِ وسِنانهِ ولكنَّها في الكَفِ والفَرجِ والفَمِ
وما كُلُّ هَاوٍ للجَميلِ بفَاعِلٍ ولا كُلُّ فَعَّالٍ لَه بمُتَمِّمِ[٣]

ليست عفته في رمحه ولا في سيفه؛ فهو يبادر للحروب، ويسارع إلى طعان الأعداء، بل عفته في كفه لكفه عن الظلم، والبطش، والاعتداء، وبإمساكه عن المكاسب المكروهة، وفي حفظه لفرجه، وتنزهه عن ارتكاب الفواحش، وإتيان المحرمات، أما عفته في فمه، فبإمساكه لسانه عن القول بالمآثم، أو النطق بالفحش والبذاءة، فما كل من يحب جميل الأفعال، ويهواها يستطيع فعلها، وما كل من ابتدأها يستطيع تتميم ما ابتدأه منها[٤].

(١) المصدر نفسه، ٢/٩٢٠.
(٢) انظر ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٢/٩٢٠.
(٣) المصدر نفسه، ٢/٩٢٠.
(٤) انظر المصدر نفسه، ٢/٩٢٠.

## المبحث الثالث: الثناء على عفَّة الممدوحة:

ولئن كانت العفَّة ممدوحة في شأن الرجال، فهي في حق النساء أعظم شأنًا، وأجلُّ قدرًا، وأوثق مطلبًا، وفي الخبر الذي أورده ابن حجة الحموي ما يدل على أهمية شأن العفَّة عند النساء خاصة، حيث ذكر الغضبان بن القبعثرى أن "أكرم النساء أعفهن، وأفخر أحسابهن العفَّة، فإذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة"(١)، والمرأة التي لا يحميها الشرف لا يحميها شيء، فالشرف عنوان لمكارم الأخلاق، وكرام النساء والرجال، وكل شريفة تعرف أن لها حياتين، الطبيعية والاجتماعية، فالاجتماعية عنوانها وشعارها العفَّة، فكما تدافع العفيفة عن حياتها الطبيعية الهلاكَ تدافع السقوط عن عفتها؛ إذ هو هلاك حقيقتها الاجتماعية(٢)، وفي المفهوم العام، والموروث الأخلاقي تفريقٌ بين عظم العفَّة لدى الرجال والنساء، فما اعترض رجل وامرأة في خلق العفَّة، إلا كانت هي الساقطة وحدها في الاعتبار؛ لأن العفَّة إنما عرفت بالمرأة من أصل الخلقة، وإنما يتصاون الرجل، ويتعفف تشبهًا وتقليدًا، فإن هو زلَّ مرة، وارتكب إثمًا، أو قارف خطيئة، فقد أخطأ في التقليد، ولم يفقد شيئًا من طبيعته، ولكن المرأة متى فعلت شيئًا من ذلك فقدت من نفسها، وغيرت تكوينها، وأخطأت في الأصل الذي بنيت عليه طبيعتها، وقامت به شرائع الله، وهي فيه نظام الأمم، فلا جرم أن كان عقابها على الخطأ عقابًا نفسيًّا، يجمع من شدة الطبيعة، إلى عنت الشرائع، إلى قسوة الاجتماع، ولهذا كان شر عيوب المرأة ما عاب فضيلتها الخصيصة بها(٣).

ولقد كان أبو الطيب المتنبي يثني بفضيلة العفَّة على ممدوحاته، ويشيد بتعففهن، وصيانتهن لأعراضهن، وحفظهن لأنفسهن، من الريب والمآثم، ومن ذلك ما جاء في رثائه لوالدة سيف الدولة، التي توفيت وهو بميافارقين، إذ ورد خبر وفاتها إلى أبي الطيب وهو بأنطاكية، فقال يرثيها، ويعزي ولدها سيف الدولة الحمداني بها، وأنشدها إياه بحلب في ٣٣٧هـ، يقول منها:

فلئن كان كل ميت له حنوط، فحنوط هذه الميتة الكريمة رحمة الله، ومغفرته، فكما غيبت

(١) ثمرات الأوراق، ابن حجة الحموي، مكتبة الجمهورية العربية، مصر، ٢/٢٣٢.

(٢) انظر وحي القلم، أبو السامي مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١/٢٩٣، بتصرف.

(٣) انظر المساكين، أبو السامي مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص ٤٢، بتصرف.

صَـــــلاةُ اللهِ خـــالقِنـــا حنـــوطٌ عـــلى الوجـــهِ المكفَّـــنِ بالجمـــالِ
علـــى المدفـــونِ قبـــل الترابِ صـــونًا وقبـــل اللحـــدِ في كـــرمِ الخِـــلالِ[١]

في الكفن اليوم، وسترها القبر، فقد غيبها الجمال من قبل، وسترها، فرحمةُ اللهِ ومغفرتُه على من كانت دفينةً ومصونةً في ستر الصِّيانة، من قبل دفنها في تراب الأرض، ومن قبل اشتمال اللحد عليها كانت معروفة بالديانة والكرم، فشخصها وإن بليت في التراب عظامه، وغاب عن الأعين فأثر فضله جديد لا يبلى، وذكر كرمه ظاهر لا ينسى، ومشهد إحسانه لا يغيب[٢]، ثم قال:

أَطـــابَ النَّفـــسَ أَنَّك مُتّ مَوتًا تَمَنّـــتـــهُ البَـــــواقي وَالخَـــــوالي
حَصـــانٌ مِثـــلُ مـــاءِ المزنِ فيهِ كتـــومُ السِّـــرِّ صـــادِقَـــةُ المقـــالِ
وليسَـــت كالإِنـــاثِ وَلا اللّـــواتي تُعَدُّ لَهـــا القُبـــورُ مِنَ الحِجـــالِ[٣]

مما عزَّى النفس وأطابها أن حياتك كانت منية بقية النساء، ومن مضى منهن، فقد عشت عزيزة عفيفة، وموتك كان كذلك، وهذا مما يطيب نفوسنا ويسلينا عنك، ويعزينا بك، فقد فزت بخيري الدنيا والآخرة، ومن التي شرف نسبها مثل شرف نسب أم سيف الدولة الحمداني، أو من التي في علو منصبها، أو صيانتها وطهر نفسها، أو زكائها في قومها؟

فهي مصونة الجناب، رفيعة القدر، طيبة العنصر، تشبه ماء المزن في صيانته، وارتفاع موضعه، وطيب عنصره، وهي أيضًا صادقة القول، كاتمة السر؛ لذا هي ليست كغيرها من اللائي ينقصن بالجبلة، ولا ممن يتمنى لهن الموت لسترهن، فقد عاشت مشهودٌ إحسانها، عفيفٌ لسانها، كريمٌ وجدانها، وماتت رفيعٌ مكانها[٤].

وقال في معرض رثائه لخولة أخت سيف الدولة الحمداني، ذاكرًا محامدها، ومثنيًا عليها

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٥٧٢/٢.
(٢) انظر المصدر نفسه، ٥٧٢/٢.
(٣) المصدر نفسه، ٥٧٢/٢-٥٧٣.
(٤) انظر شَرْح شِعْر المُتَنبي، أبو القاسم ابن الأفليلي، ١٩١/١-١٩٢.

بكريم الصفات، وجليل الخصال، ومن ذلك أنها لم تعرف إلا بالعفَّة والتعفف، والحياء والحفاظ، مع ما آتاها الله من جمال وكمال، يقول:

يَعلمْنَ حينَ تُحَيّا حُسْن مبْسمِها ولَيْس يَعْلمُ إلا اللهُ بالشَّنَبِ[١]

فأترابها لا يرين حسن مبسمها إلا إذا حيينها، أما ما وراء شفتيها من برد الريق فلم يطلع عليه إلا الله، إذ لم يذق ريقها أحد[٢].

وقال من قصيدة يمدح بها بدر بن عمار بن إسماعيل، ويذكر حرص نسائه على صيانة جمالهن، فهن يلبسن ما يسترهن، ويحجبهن عن أعين الطامعين، فلا يتقصدن الزينة والتجمل، ولبس فاخر الثياب ونفيس الملابس، وهذا من حيائهن وعفتهن، يقول:

لبسن الوشي لا متجملاتٍ ولكن كي يصنّ به الجمالا[٣]

وقال قصيدة امتدح فيها الأمير الحمداني أبا العشائر، وشبب فيها بامرأة، منها:

كَاثرت نَائلَ الأَمِيرِ من المَا لِ بمَا نوَّلتَ مِن الإيْراقِ[٤]

الإيراق: التجنيب والمنع، يقال للصائد أورق إذا عجز عن الصيد، وللغازي أورق إذا عاد من دون غنيمة، قال الخوارزمي: "فهي تطلب بإسهادها الغايةَ، كما يطلب الأمير بإنالته النهايةَ، فنوالها الأرق، ونواله الورق"[٥]، فهي بخلاف الأمير الذي يجود، وهي تعارضه ببخلها ومنعها؛ ليكون ذلك أبعث لحبها، كما في مقول العرب: تمنُّعي أشهى لك، وقد يكون وصفًا لها بالعفَّة، كما يوصف الأمير بالكرم؛ فعفتها -في نوع العفَّة- ككرم الأمير في نوع الكرم[٦].

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٨٦٣/٢.
(٢) انظر المصدر نفسه، ٨٦٣/٢.
(٣) المصدر نفسه، ٣٢٣/١.
(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٥٠٢/١.
(٥) انظر المصدر نفسه، ٥٠٥/١.
(٦) شرح المشكل من شعر المتنبي، ابن سيده، تحقيق د. محمد رضوان، دار المأمون للتراث، سوريا، ص٦٠.

وله من قصيدة يمدح فيها أبا سهل الأنطاكي، ويصف كمال جمال موصوفته وحسنها، وأن الذي منعها من الظهور هو تعففها، وحياؤها، وصونها لنفسها، يقول:

أملتُ ساعةَ ساروا كشفَ معصمِها ... ليلبث الحَيُّ دون السَّيرِ حيرانا
ولو بدت لأتاهتهم فحجَّبها ... صونٌ عقولهم من لَحظِها صانا[1]

أمل ورجا حين انطلقوا لو أنها كشفت معصمها، ليظهر عندما تركب هودجها، حتى يراه أهل الحي؛ فيحتاروا مما رأوا، فيقفوا عن السير، هذا لو انكشف معصمها، فكيف لو أن هذه المرأة ظهرت لهم، لحيرتهم، إلا أن الذي حجبها عنهم هو صيانتها لنفسها من الظهور والبروز، ما جعل عقولهم مصانة عن لحظها، ولو لحظوها لطارت عقولهم، ولو لحظتهم لأخذت عقولهم[2].

وقال مودعًا عضد الدولة بن بويه، وهي آخر قصيدة قالها، وقد تطيّر في مواضع منها على نفسه، كما ذكر في قصيدته من يترقب عودته من سفره، مع شدة الشوق إليه، وطول الترقب لأوبته، ووصفه بجميل الخصال، وكريم الخلال، ومن ذلك قوله:

ويمنعُ ثغرَه من كُلّ صَبٍّ ... ويمنحُه البَشاشةَ والأَرَاكا[3]

فلو جهد العاشق أن يصل إلى ثغره لم يستطع ذلك، لعفَّته وتصونه، مع أنه يمكن من ثغره السواك الذي يتخذ من تينك الشجرتين، شجرة البشام، وشجرة الأراك، إذا يستاك إذ يستاك بفرعها[4].

وله من قصيدة يمتدح بها محمد بن زريق الطرسوسي، ويشبب بامرأة حسناء، سابغة الجمال، يلفت الأنظار حسنُها الأخاذ، ومن كمال جمالها حياؤُها، وحفظها لنفسها من أن تضل، أو تُضَل، يقول:

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٣٩٨/١.
(٢) انظر ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٣٩٨/١.
(٣) المصدر نفسه، ١١٢٠/٢.
(٤) انظر المصدر نفسه، ١١٢٠/٢.

خودٌ جنت بَيني وبينَ عَواذِلي حَربًا وغَادرتِ الفؤادَ وطِيسَا
بيضَاءُ يمنعُها تكلمَ دلُّها تِيهًا ويمنَعُها الحيَاءُ تمِيْسَا[١]

فلكثرة ما يلمنني في هواي لها، ويغضبنني، ويراجعنني، حتى كأن بيني وبين من يعذلني بسببها حربًا، فقلبي يتوقد من حرارة الهوى لتلك البيضاء النقية العفيفة، التي "يمنعها دلالها أن تتكلم، ويمنعها حياؤها أن تميس -تتثنى- فقوله: تكلمَ، يريد أن تتكلم، فحذف وأعمل، وكذلك تميس، ويروى بدل تكلم: التكلم"[٢].

ولما دخل أبو الطيب الكوفة، هاربًا من مصر، وصف طريق هروبه ذلك، وذلك سنة ٣٥١ هـ، في مقصورته التي تجلى فيها سمو غايته، وعلو همته، فهو لا ينجذب إلى اللائي يتثنين في مشيهن، ويتكسرن لجذب العيون الغافلات تجاههن، بل يعفُّ عن ذلك، ويعيبه، ويجعلهن فداءً لمن لسن كذلك، يقول:

ألا كل ماشيةِ الخَيزَلى فدا كل ماشية الهَيذَبى[٣]

والخَيزلى: مِشيةٌ أنثوية، من مشي النساء خاصة، فيها تفككٌ، وتخزُّل، واسترخاء، وتثاقل، والهيذبى -بالذال والدال- مِشية فيها سُرعة وقوة وجد، وهي من مشية الخيل والإبل، يقول: كل امرأة تمشي مشية تعشقها العيون، وتميل إليها القلوب فدى كل ناقة وجَمل، ومنها الإبل التي فررت بها هاربًا من الضيم والظلم الذي لحقني إبان مقامي في مصر، فمن عفَّته، وتنزهه عن العشق والغزل تفضيله مشية الجمال السريعة والقوية، التي تقطع به الفيافي، وتصحبه في أسفاره على مشية النساء التي فيها ضعفٌ، واسترخاء، وبطء، لبراعة حسنهن، وعظم خلقهن، وتحكمهن بالقلوب، ويدعو أن يجعلهن الله فداء الخيل والإبل التي تسرع في مشيها، وتهذب في سيرها، فتفوت الطلب بقوة عدوها[٤]، ثم يقول:

(١) المصدر نفسه، ١/١٦٣.
(٢) شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٣٥٧هـ، ٢/٣٠٤.
(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٢/٩٨٨.
(٤) انظر شرح شِعْر المتنبي، أبو القاسم ابن الأفليلي، ٤/١٠٤.

وكل نجاةٍ بُجاويةٍ  خنوفٍ وما بِيَ حسنُ المِشى[١]

نجاة: هي الناقة التي تنجو بصاحبها لسرعة عدوها، وبُجاوية نسبة إلى قبيلة من البربر، تعرف نوقها بسرعة العدو، والخنوف: الناقة النشيطة التي بيديها ميل في مشيها، المِشى جمع مشية، فهو لا يستهويه، ولا يستغويه حُسن المشية، وليسه به ميل إلى ذلك، وليس يعتمد من المشي ما يروق حسنه الأبصار[٢].

**المبحث الرابع: تجريد المهجو من فضيلة العفَّة**

ولئن كان الإنسان يمتدح بعفته، وصيانته لعرضه، وحفظه لنفسه وأهله، وذلك لعظم شأن تلك الفضيلة النفيسة عند العربي، فإن مخالفها يكون حقيقًا بالهجاء والتقبيح، والتعييب والذم، ومن وقع في شيء من العهر والدياثة، والبغاء والفجور فهو حقيق بالنبز والتعييب، والتحقير والتعيير، وقد كان الشعراء ينتقصون خصومهم، ومن يعادونه بكثير من المعايب، وأشنعها وأفحشها البعد عن العفَّة، والوقوع في الرذيلة، والدياثة، وقد كان في شعر أبي الطيب المتنبي نصيبه من ذلك، غير أني لن أكثر النقول فيه للمبالغة في الإقذاع والفحش، وتعففًا عن بذيء الألفاظ وقبيح المعاني، وحسبك من شر سماعه، ولعله يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، ومن ذلك ما جرى لأبي الطيب المتنبي حين نزل بحسمى[٣]، أثناء سفره إلى الكوفة، فأطال المكث فيها، إذ طابت له، فطاب المقام فيها، ولقي فيها رجلًا طائيًّا يدعى وردان، وكان يلتقي غلمان أبي الطيب، ويطيل الجلوس معهم، فأفسدهم عليه، وأغرى غلامًا منهم كان أميلهم إليه أن يتغافل أبي الطيب، فيسرق سيفه الذي قد حلي بالذهب، فاتفق الغلام مع رفيق له، فأعطاه سيف أبي الطيب، وحاول الغلام أن يسرق الفرس أيضًا، وكان أبو الطيب نائمًا على المقود، فانتبه لما يجري، واستراب من الأمر، فضرب بسيفه وجه الغلام فأطاح برأسه، واستطاع الغلام الآخر أن يفلت بالفرس والسيف،

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٩٨٨/٢.

(٢) انظر المصدر نفسه، ٩٨٨/٢.

(٣) حِسْمى، بالكسر ثم السكون، مقصور، لعل أصله من الحسم، وهو المنع، وحسمى ناحية من بادية الشام، وأهل تبوك يرون جبل حسمى غربا عنهم، انظر معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ٢٢٩/٢ -٢٩٩.

وكان ذلك في هزيع من الليل، فهجا أبو الطيب وردانًا بقوله:

لَحا اللهُ وردانًا وأمًّا أتت به  له كسبُ خنزيرٍ وخرطومُ ثعلبِ[١]

فالخنزير وبنات وردان جميعها تأكل القذارة والعذرة في الحشوش، ولاتفاق الاسمين صيره كالخنزير في أكل القذر، ولأنه ناتئ الوجه وصفه بأن له خرطوم ثعلب، فأشبه أنفَه وفمَه[٢]، ثم قال:

فما كان فيهِ الغدرُ إلا دلالةً  على أنه فيه من الأم والأبِ[٣]

فغدره بي يدل على أنه وارث للغدر من والديه كليهما، ويعني أن أبويه كانا غدارين، فورَّثاه الغدر، ولم يطرأ عليه ذلك، فليس عن كلالة، وفي بعض روايات البيت (بالأب) أي أن أمه غدرت بأبيه فجاء ابن سفاح وغدر، ولذا كان كذلك، ثم وصفه بالدياثة، وأنه يقود إلى امرأته، ويتكسب من ذلك[٤]، فقال:

إذا كسب الإنسانُ من هن عرسِه  فيا لؤم إنسانٍ ويا لؤم مكسبِ
أهذا اللذيَّا بنتُ وردان بنتُه  هما الطالبان الرزق من شرِّ مطلبِ[٥]

أهذا هو من تنسب بنت وردان إليه؟ هذه الحشرة الذميمة، يقول ذلك تجاهلًا وهزءًا، فهي تطلب رزقها من الحشوش المنتنة، والأماكن المستقذرة، وهو يطلبه رزقه من هن عرسه[٦]، وكنى بذلك عن فرجها، فالعذرة كسب الخنزير، فبها يتقوت، وعليها يحرص، ذكر ذلك من ألف في شأن الحيوان، والثعلب يتناول مأكوله بخرطومه، فالخرطوم للسبع، كالمشفر للناقة، والجحفلة للفرس، فيقول: لحا الله وردانًا، وأمحقه، وأهانه، وأذله، وأهلكه،

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٢/٩٨٤.
(٢) انظر المصدر نفسه، ٢/٩٨٥.
(٣) المصدر نفسه، ٢/٩٨٤.
(٤) انظر المصدر نفسه، ٢/٩٨٥.
(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ٢/٩٨٤.
(٦) انظر المصدر نفسه، ٢/٩٨٤.

وأمًّا ولدته، وحاملًا وضعته، وأرضعته، فليس يرتفع في لؤم كسبه عن كسب الخنازير، ولا عن الثعالب في دناءة مطعمها، ثم أشار إلى ما استباحه وردان من سرقة سيفه وفرسه، وما رضي به من دناءة وجهته، فإنه لم يغدر به إلا لما ورثه من اللؤم والغدر من أمه وأبيه، وما رأيته من قبيح فعله دليل قاطع، وشهادة صدق على ذلك اللؤم الذي أورثته أمه إياه، بقبيح اتصالها بأبيه، وبعدهما عن الولادة الصالحة فيه، ثم قال يشير إليه، وإلى ما سبق من إقدام وردان على إفساد غلمانه عليه: إذا كان مكسب الإنسان من فرج عرسه، وقبل مثل هذه الفعل المذموم على نفسه، وسهل عليه، فيا لخسة ذلك الإنسان ولؤمه، فقبح الله فعله، ثم يقول مشيرًا إلى وردان، ومخبرًا عن ابنته: أهذا المسمى وردان، الذي بنته توصف بقبيح الصفات، المشتهرة بقلة العفاف، التي أشبهت أباها بطلبها للرزق من شر مطالبه، وأخبثها، فهي وهو يسلكان إليه ألأم الطرق والطرائق، فهو وردان الذي بنت وردان بنته[١].

لقد كان أبو الطيب المتنبي يفخر بالعفَّة والتعفف، ويمتدح بها، ويثني على من تخلق بالطهر والعفاف، ويهجو من هانت عليه نفسه، فلم يتجمل بالعفاف، ولم يحافظ على عرضه، ويصون شرفه، وهل هناك أجمل من العرض المصون؟ يقول من قصيدة هجا بها إسحاق بن كيغلغ بعد ما ورد عليه الخبر بأنه يهدده:

وليس جميلًا عرضُه فيصونَه  وليس جميلًا أن يكون جميلا[٢]

يقول: إنه لا يصان إلا الجميل، المستحق للصيانة والحفاظ، وبما أن عرضه ليس مصونًا فإنه ليس بجميل، بل ليس يجمل أن يكون جميلا[٣].

(١) انظر شرح شِعْر المتنبي، أبو القاسم ابن الأفليلي، ٤/١٢٦-١٢٨.
(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، ١/٤٩٧.
(٣) انظر المصدر نفسه، ١/٤٩٧.

## الخاتمة

المتأمل في حركة الشعر العربي التاريخيّة والفنيّة يلمس أبلغ تعبير عن احتياجات النفس العربيّة، وعن قضايا الحياة، ومشكلاتها الموضوعية والأدبية، فقضايا الشعر العربي تأثرت بهموم الإنسان وما زالت، وقد شكَّل الجانب الأخلاقي نصيب الليث من المعاني الشعرية، عند الشعراء، وتناولُها بالبحث والتفتيش يؤكد أهميتها، وخاصة ما يعد من أصول الأخلاق، وأُمَّات القيم، وقد كشف البحث عن التالي:

- أن القيم القيمة التي تأصَّلت في النفس الإنسانية، هي التي تجعل لحياة الإنسان معنى كريمًا، وتضع له هدفًا ساميًا، يسعى لتحقيقه في ظل نواميس معيّنة، سواء أكانت تلك القيم ناتجة عن عقله، أو خاضعة لأوامر ربه، ولولا وجود تلك القيم لما بلغت الإنسانية ما بلغته، حتى يومنا هذا، فهناك معايير أخلاقية، وقيم كريمة اصطلح الناس عليها، وتحاكموا إليها، لها تأثير بالغ في الرفع من شأن الفرد أو الجماعة، وجماع هذه الفضائل: العقل والشجاعة والعدل والعفَّة.
- أنّ فضيلة العفَّة مطلب عظيم من مطالب الأخلاق الدينية، والأعراف الموروثة المرعية.
- أن تناول مثل هذه الموضوعات القيمة بالدراسة يعزز وجود القيم الكريمة التي جاء بعثُ نبينا محمدٍ -صلى الله عليه وسلم- متممًا لها، ويساعد على فشوِّها وشيوعها، وإحلالها المقام الذي يليق بها.
- أن قيمة الشاعر تسمو في ترفُّعِه عن الرذائل، واهتمامه بالفضائل.
- أن فضيلة العفَّة قد استولت على جانب كبير من أغراض الشعر عند أبي الطيب المتنبي، ونجد ذلك في فخره ومدحه، ورثائه وهجائه، والشاعر المبدع لا يعيب شعره تناول الموضوعات الأخلاقية.
- أن المجتمعات الإسلامية بحاجة ماسة إلى تقديم هذه القيم مدعمة بجميل الشواهد، وطريف الأبيات ونادرها؛ لترسيخ كريم الأخلاق في المجتمع، والاعتزاز بتراثه النفيس، وقيمه القيمة.
- أن مرجع الإبداع عند الشاعر ذاتي لا موضوعي، وأن قدرات المبدع الشعرية تظهر

وتتجلى لإبداعه، لا لموضوعه، فقيمة الفن لا تضعُف أو تتأخّر في شعر الأخلاق عن غيره من الشعر.

- شعر العفَّة بعامة حقق حضورًا فنيًّا، ومعرفيًّا على مستوى الشعر العربي، بأطواره المتعددة، ورسم تقاليد مهمة جديدة في العلاقة بين المتحابِّين.

ويوصي الباحث بتسليط الضوء على القيم الأخلاقية في شعر العرب، وإبراز مكارم الأخلاق التي جاء الإسلام بتتميمها، وتقديم دراسات مستفيضة حول أصول الأخلاق وفروعها، مع استدعاء الشواهد والمثل من أشعار العرب في مختلف عصورهم الشعرية، وتناول هذه المواد الشعرية بما يشبع نهم القراء ويروي غلتهم، فأشعار العرب تحوي مادة غزيرة من الفخر بمكارم الأخلاق، والتمدح بها، والثناء على ذويها.

## مكتبة المصادر والمراجع

١. الإمتاع والمؤانسة، التوحيدي، أبوحيان علي بن محمد، صححه وشرح غريبه أحمد أمين وأحمد الزين، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، المكتبة العصرية، بيروت ١٤٢٤هـ.

٢. البصائر والذخائر، التوحيدي، أبوحيان علي بن محمد، تحقيق د. وداد القاضي، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ.

٣. البيان والتبيين، الجاحظ، عمرو بن بحر، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٤م.

٤. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، الحَمِيدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح، تحقيق د. زبيدة محمد، مكتبة السنة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٥. ثمرات الأوراق، ابن حجة الحموي، مكتبة الجمهورية العربية، مصر.

٦. الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون. مصر - ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.

٧. ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح الواحدي، تحقيق عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.

٨. شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٣٥٧هـ.

٩. شَرْح شِعْر المتَنبي، أبو القاسم ابن الأفلِيلي، تحقيق د.عليان، مصطفى، مؤسسة الرسالة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

١٠. شرح المشكل من شعر المتنبي، ابن سيده، علي بن إسماعيل، تحقيق د. محمد رضوان، دار المأمون للتراث، سوريا، ١٣٩٧هـ.

١١. شرح المعلقات السبع، الزَّوْزَني، حسين بن أحمد، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٢. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، حققه مفيد قميحة، دار الكتب

العلمية، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ.

١٣. كتاب صبح الأعشى، القلقشندي، أبو العباس أحمد، طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٤٠هـ- ١٩٢٢م.

١٤. عيون الأخبار، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الطبعة الأولى، مؤسسة مصر العامة للتأليف والطباعة والترجمة والنشر، ١٤٠٥هـ.

١٥. الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي، ابن جني، أبو الفتح عثمان، تحقيق د. محسن عياض، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٠م.

١٦. القيم العربية الأصيلة من شعرنا القديم، مقداد، د. عبد الله جبريل، الطبعة الأولى، الأردن، دار عمار، ١٤١٧هـ.

١٧. قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، د. بدوي طبانة، مكتبة الأنجلو، ط الثالثة، مصر.

١٨. كتاب التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد، الطبعة الأولى، بيروت، الكتب العلمية، ١٩٨٣م.

١٩. لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين محمد الأنصاري الرويفعى الإفريقى، الطبعة الأولى، مصر، دار المعارف، ١٤١٨هـ.

٢٠. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، أبوالقاسم الحسين بن محمد، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر، ١٤٢٥هـ.

٢١. المساكين، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢٢. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٢٣. نقد الشعر، ابن جعفر، قدامة، تحقيق كمال مصطفى، الطبعة الأولى، مصر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٧٨م.

٢٤. وحي القلم، أبو السامي مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، لبنان.